370 - ـ فصل : العبث على ا محال .

قد تكرر معناه في هذا الكتاب إلا أن إعادته على النفوس مهمة لئلا يغفل عن مثله .

ينبغي للمؤمن أن يعلم أن ا سبحانه مالك حكيم لا يعبث و هذا العلم يوجب نفي الإعتراض على القدر .

و قد لهج خلق بالإعتراض قدحا في الحكمة و ذلك كفر .

و أولهم إبليس في قوله : { خلقتني من نار و خلقته من طين } .

و معنى قوله : أن تفضيلك الطين على النار ليس بحكمة .

و قد رأيت من كان فقيها دأبه الإعتراض .

و هذا لأن المعترض ينظر إلى صورة الفعل و لو أن صورة الفعل صدرت من مخلوق مثلنا حسن أن يعترض عليه .

فأما من نقصت الأفهام عن مطالعة حكمته فإعتراض الناقص الجاهل عليه جنون .

فأما إعتراض الخلعاء فدائم لأنهم يريدون جريان الأمور على أغراضهم فمتى إنكسر لأحدهم إعتراض .

و فيهم من يتعدى إلى ذكر الموت فيقول : بنى و نقض .

و كان لنا رفيق قرأ القرآن و القراءات و سمع الحديث الكثير ثم وقع في الذنوب و عاش أكثر من سبعين سنة فلما نزل به الموت ذكر لي انه قال : [قد ضاقت الدنيا إلا من روحي] .

و من هذا الجنس سمعت شخصا يقول عند الموت : ربي يظلمني و هذا كثير .

و يكره أن يحكى كلام الخلعاء في جنونهم و إعتراضاتهم الباردة .

و لو فهموا أن الدنيا ميدان مسابقة و مارستان صبر ليبين بذلك أثر الخالق لما إعترضوا .

و الذي طلبوه من السلامة و بلوغ الأغراض أمامهم لو فهموا .

فهم كالزور جاري يتلوث بالطين فإذا فرغ لبس ثياب النظافة .

و لما أريد نقض هذا البدن الذي لا يصلح للبقاء نحيت عنه النفس الشريفة و بني بناء يقبل الدوام .

و بعد هذا فقل للمعترض : { فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ } .

قل له : إن إعترض لم يمنع ذلك جريان القدر و إن سلم جرى القدر فلأن يجري و هو مأجور خير من أن يجري و هو مأزور .

و ما أحسن سكوت وضاح اليمن لما إختبأ في صندوق فقال السلطان : [أيها الصندوق إن كان فيك ما نظن فقد محونا أثرك] .

و إن لم يكن فليس بدفن خشب من جناح .

فلو أنه صاح ما إنتفع بشيء و لربما أخرج فقتل أقبح قتلة